الصدفة

د. عمر العماس

من قبيل الصدفة فقط، كان انتماؤنا لمنظومة التعليم النظامي، المتمثل في المدرسة آنذاك بالمرحلة الأولية، بعد أن طال انغماسنا، في بحور التعليم الديني بالخلاوى، في أكثر من موقع، وبعد أن اتكأ انتماؤنا إليها على وسادة من علم ينفع، وعلى شيوخ نُفّع، تعلقنا بهم، فأصبحوا لنا القدوة الحسنة، بما كانوا يتمتعون به من سلوك مرضٍ، ومعارف دينية رفيعة، وارفة ظلالها، علاوة على إلمامهم بعلوم الرياضيات، واللغة العربية، والقصص الديني الوافر، الذي يحمل بين طياته الأسس التربوية الهادفة، مما جعلنا وفي تواضع تام نطأطئ رؤوسنا أمامهم احتراماً، رغم انثناءات ذلك السوط الجلدي المجدول على الحائط أحياناً، والمشهر أمام وجوهنا تارة، والمنبسط مستلقياً على مصلاة الشيخ أو الفكي، المسئول عن الجانب التنفيذي للرقابة والتحفيظ، تارة أخرى، يستلقي السوط بين يديه على المصلاة كالحية المقذعة، المفزعة، كما يخال لنا ذلك، وقد ينبع ذلك الاحترام من منطلق إلمامهم، ومعرفتهم، وممارساتهم، لفنون الكتابة على اللوح الخشبي، أو على ورق(الفرخ)، وهو نوع من الورق، ناصع البياض، أملس يوازي بمقاييس اليوم، ورق أل (A4)، والذي كان يزداد نضارة، وبهاءً، عند التصاق العمارعليه، **والعمار هو:**

"الحبر المحضّر بنسب محددة من الكربون، والصمغ المطحون(المسحون)، والماء ، والشعر(السبيب)، تخلط هذه المكونات جيداً، ويعبأ المخلوط فيما يعرف بالدوّاية، وهي إناء صغير، يمثل المحبرة حالياً، قد يكون مصنوعاً من الفخار، أو من ثمر القرع صغير الحجم، أو من الزجاج، في العهود القريبة، (بعد أن أُعتمدت الأواني الزجاجية، كمتطلبات منزلية، أو تجارية بالمعنى الواسع)، يلتصق العمار بسطح الورق المشار إليه، عند الكتابة عليه، باستخدام أقلام البوص، أو القصب، التي كانت تجهز، وتصمم محلياً، داخل الخلوة أو خارجها، بواسطة الطلاب.

www.omerelammas.com

يقوم **الشيخ أو الفكي** بكتابة بعض الآيات القرآنية، أو التعاويذ، على ذلك الورق، بعد أن يتمّ تجهيزه في شكل قصاصات، تتفاوت في مساحاتها، وطولها وعرضها، وتصمم منها أشياء متعددة، مثل البخور، الذي يُحرق ليستنشقه المسحور، أو ذلك المصاب بالعين، أو أي مرض آخر يحدده الشيخ.

تصمم منه، أيضاً، الورقة، وهي عبارة عن طيات من ورقة مكتوب عليها، صغيرة الحجم، تعلق على عضد الشخص المعني بالعلاج، أو تلبس كتميمة تتدلى من العنق على الصدر، أو تصمم في شكل حجاب، ومثله مثل الورقة، يعلق على العضد، أو يتدلى من العنق على الصدر، إلاّ أنه أكبر حجماً من الورقة، ويتفاوت في كبر حجمه، أو صغره، حسب أعمار مستخدميه، ويتميز بشكله الأسطواني الجاذب للأنظار.

توضع الورقة أو الحجاب، بين يدي إسكافي ماهر، لتغليفها، أو تجليدها، بالجلد المزان، الذي يكسبها رونقاً، يتلذذ مستخدمه بالنظر إليه، وفي الوقت ذاته، يعمل على إرضائه نفسياً، كما يخالطه الشعور، بأنه قد أصبح **(محجّبا)**، أي محمياً بقدرة الله تعالى، من كل ما هو ضار، فتنمو وتزداد فيه الدافعية، والإقبال القوي، لكل ما يريد فعله أو القيام به، ويزداد بذلك فخراً، كلما شمّرعن ساعديه، ليرى غيرُه، ما يتزين به من تمائم، فيخال له أنه أصبح أكبر حجماً، وأكبر قدراً ورفعة، فتتسع بذلك خطواته، وتعلو نظراته، وبذلك يرحل الشيطان الرجيم عنه، أو يكون في حالة استعدادٍ لذلك الرحيل الإجباري.

www.omerelanmas.com